جديدة ، حكمت الفلسطينيين وتطورهم الكياني سنوات طويلة · وفوق ذلك كله ، ادت الاوضاع الجديدة هذه الى تكيف فلسطيني مع الواقع بكل معطياته وافرازاته · فغابت الحركة الوطنية الفلسطينية ، وفقدت سماتها الخاصة ، وفقد معها البرنامج الوطني الفلسطيني الخاص والمتميز ·

ولكن كيف استجاب الفلسطينيون الى واقعهم الجديد وكيف تكيفوا معه ؟ ثم كيف جابهوا عملية الضم تلك ؟ وكيف كانت مواقف الاطراف الاخرى المعنية والمتأثرة بشكل او باخر ، من جراء الخطوة الاردنية ؟

فيما يتعلق بـ « الاستجابة » الفلسطينية لعملية الضم ، فان وقائع الاحداث التي امتدت طوال الفترة اللاحقة على دخول الجيوش العربية الى فلسطين في منتصف ايار عام ١٩٤٨ ، تشير الى محدودية تلك الاستجابة او عدم شموليتها · فهي قد اشتملت فقط على فلسطينيي الضفة الغربية واللاجئين اليها · كما شملت كذلك الفلسطينيين الذين لجأوا الى الضفة الشرقية ، واعدادا قليلة اخرى من الفلسطينيين في الاقطار العربية المجاورة · وبالطبع ، فانه لا يمكن التهوين من حجم وفاعلية ومركزية هؤلاء جميعا ، في المجرى الاساسي للتطور الكياني الفلسطيني ·

وليس من الصعب فهم عملية الاستجابة الفلسطينية تلك ، لواقعة الضم ، في ظروف النكبة الكبرى ومعطياتها السياسية والاجتماعية والجغرافية والعسكرية ، بقدر الصعوبة التي يمكن رؤيتها واستيعابها الان ، بعد سلسلة من التطورات الكيانية الفلسطينية على امتداد العشرين سنة الماضية ، وفي ظل معطيات النهوض الوطني الفلسطيني الراهنة ، المتمسكة بشعارات الاستقلال الوطني ·

ولذلك ، فان استعادة المعطيات الفلسطينية التي واكبت عملية الضم لا تمكن الباحث ، القول بانه كانت هناك عملية مجابهة فلسطينية للاجراءات الاردنية حيال الضفة الغربية ، وان ما حدث على هذا الصعيد ، يمكن اعتباره اعتراضات جزئية ومحدودة فقط· وقد اقتصرت مجابهة عملية الضم ، في نطاق شروط غير مكتملة وعلى قاعدة سياسية غير متكافئة ، مع حكومة عموم فلسطين برعاية الهيئة العليا ·

وفي نطاق عملية الاعتراض تلك ، فاننا نجد ابرز تعبيراتها في الموقف الذي اتخذه الشيوعيون ، من عملية اجراءات الانتخابات النيابية لبرلمان الضفتين · فقد وصفت قرارات اللجنة المركزية لعصبة التحرر الوطني (التي اتخذتها عشية اعلانها عن قيام الحزب الشيوعي الاردني في اواسط العام ١٩٥٠) باسهاب، مظاهر الاعتراضات « ومقاومة الجماهير الشعبية للمحتلين الانكلو ـ هاشميين في النضال البطولي لاحباط مؤامرة الانتخابات الانكلو ـ هاشمية ضد المؤامرة التي استهدفت تزييف ارادة الشعب العربي الفلسطيني لاضفاء صفة شرعية على